

أصنام القضية وأفق التغيير



حلول وتسويات حتى لم يبق ما يمكن العنور على تسوية فيه. وفي لحظة الضيق الأخيرة، عندما أرادت إسرائيل أن تضم نحو ثلث الضفة الغربية وغور الأردن، فقد عزموا على "تسليم المفتاح" للاحتلال.

لم يقدموا ذلك كاعتراف بالفشل. كما لم يقدموه كدليل على سوء تصرف في الإدارة والسلطة امتد لكل ذلك الزمن، وإنما كعمل من أعمال الاحتجاج والياس. وهذا وضع عجيب فعلا. اليوم، إذا كانت تبرز الحاجة إلى انتخابات برلمانية ورئاسية جديدة، فلأن "القضية المركزية" بلغت من الانحدار إلى درجة أنها باتت تتطلب قيادة جديدة، وأن يعود الشعب الفلسطيني ليتبنى المقعد الأممي فيها، وأن يتقدم جيل جديد، نابع من رحم الأرض، لكي يتولى قراءة الواقع ويتأمل فيه ويبحث عن سبل لاستنهاض إرادة التحرير، من بين ما يمكن للناس أن يقرروه بانفسهم.

قرن، حتى خسرت كل شيء ولم تكسب المعركة.

لماذا كان يجب على العراق أن يخسر نفسه، وأن يقع هو نفسه، في النهاية، تحت الاحتلال، بينما كان يجند كل قدراته وتحدياته لتحرير فلسطين؟

سؤال لم يجزئ مسؤول فلسطيني واحد حتى على التفكير فيه، دع عنك تقديم جواب عاقل له.

كما لم يكن من المعقول أن تبحث عن سبيل لتبني قوة اقتصادية أو استراتيجية، وأن تواجه مخاطر أخرى، إلا لحساب الصنم ذاك.

والمأساة لا تزال قائمة، بل إنها ظلت تشدد على الفلسطينيين مع مرور كل يوم كانت تبني فيه إسرائيل مستوطنات جديدة، وتتوسع في ضم المزيد من الأراضي. ولم يظهر أن أصحاب المكاتب نحوا في إعداد خارطة طريق واضحة لشعبهم للخروج منها. وانشغلوا النحو 30 عاما في البحث عن صفقات وأنصاف

لماذا؟ لأن ذلك يحطم له واحدا من أصنامه، التي يريد من الآخرين أن يتعبدوا لها، بينما يوفر لنفسه أسبابا وتبريرات، وكل أسبابه "نضالية" بطبيعة الحال، أما أسباب الآخرين فـ"خيارية".

هذا وضع عجيب فعلا. "القضية المركزية"، كمفهوم، كان يعني أن يتخلى الآخرون عن كل قضية تتعلق، وأن لا يهتموا بشيء يتعلق بحياتهم ومصالحهم واقتصادهم إلا تلك. وأن يواصلوا التضحية، لكي يرضى عنهم الجالسون في المكاتب الوفيرة.

وبما أنهم هم الذين يمنحون للناس شهادات الشرف والوطنية، فقد أصبح خائفا كل من لم يمثل للشروط والقوالب التي يضعونها.

"كل شيء من أجل المعركة"، هذا واحد من أقدس الأصنام. ولقد امتثلت الأمة العربية لعبادته لأكثر من نصف

الانحدار في مكانة القضية الفلسطينية لم يقع بسبب متغيرات إقليمية أو دولية. هذه كذبة كبيرة، يكذبها الفاشلون على شعبيهم، وكان إقليمية ودولية. إنها قضية شعب أولا، ومن بعد ذلك يكون ما يكون. الموقف الشعبي من قضيتهم هو الأساس. ومن لا يضع قلبه، وفهمه، وخياراته على هذا الأساس، فمن الأجدر به أن يُعيد النظر، لأن قراءته خاطئة.

انظر متى بدأ الشباب الفلسطينيون يبحثون عن لجوء وهجرة، وستعرف متى ومن أين بدأ الانحدار. انظر متى برزت ظاهرة "القتل دفاعا عن الشرف" وستعرف متى وكيف بدأت "القضية" تخسر شرفها بالذات. ثم انظر إلى النزاعات الفلسطينية، ومنها تلك التي أدت إلى أن يقتل الفلسطيني أخاه، وستعرف متى ولماذا أصبحت نزاعا عشائريا، لا قضية قومية، ولا حتى قضية وطنية.

لقد كانت تلك مظاهر اجتماعية وسياسية عسيرة، ولكنها لم تطلق صفارات الإنذار لدى قيادات السلطتين. ولئن كانت هناك مراكز تفكير، فيشهد القاضي والداني، كم أنها كانت من لزوم ما لا يلزم بالنسبة لتلك القيادات.

"المسؤول الفلسطيني" لم يكن يرغب بأن يُفكر له أحد، أو أن يدرس له أحد أي معادلات، أو أن يقدم له ما يجعله يتخذ قرارا رشيدا. الكل جلس على مقعد القرار، لينتخبه بمفرده، من دون قراءة لأي شيء. الأمر الذي جعل قراره آميا، مكتفيا بقوالب الأصنام التي وضعها أمامه.

وتلك الأصنام لو أنه تعبدوا بإخلاص لكانت "نص مصيبة"، ولكنه لم يفعل، وظل يطلب من الآخرين أن يفعلوا، وإلا أصبحوا "خونة".

"المسؤول الفلسطيني" يجوز له أن يرتكب كل موبقات التطبيع، إلا أنه لا يسمح لغيره عشر معشار ما يفعل.

وأعمال التمرد، والعصيان العام، لأنها تسجل جمعا بديها بين الإرادة العامة والإمكانات الواقعية.

الشعاراتية قيد على الإرادة، وقيد أسوأ على الإمكانات، لأنها مصدر إلهام.

لم يكن الجزائريون الذين حاربوا الاستعمار الاستيطاني الفرنسي بحاجة إلى قوالب شعاراتية. كانت المقاومة مجرد تعبير عن الموقف العام، وعن استعداداته.

الشيء نفسه حصل في فيتنام، فالمقاومة هناك كانت عملا شعبيا من أرفع طراز.

مشروع وطني بمثله تيار جديد هو وحده القادر على إخراج القضية الفلسطينية من المستنقع الذي وجدت نفسها فيه، مشروع لا يمسك بالقضية من تلايبب الشعارات، ولا الوعود الوهمية، ولا الحلول التي لا أفق عمليا لها.

"الشعاراتية" الفلسطينية عملة حقيقية. إنها ذلك الشيء الذي يحتزل معادلات الواقع كلها في بضع كلمات، ويجولها إلى "مقدس"، وبينما تضي الحياة في طرقها المعتادة، فيتغير فيها ما يتغير مما يتطلب التمعن فيه، فإن صنم "المقدس" يظل ثابتا، حتى يصبح نوعا من موقف مفارق لا علاقة له بالحياة.

لقد تكبدت القضية الفلسطينية من هذه الشعاراتية ما لم تتكبد أي قضية إنسانية أخرى. والسبب، هو أن قادتها ظلوا عاجزين عن قراءة الواقع، وعن التعامل معه بحسب.

وقراءة الواقع لا تعني القبول به، هذا سوء فهم آخر. ولكنها تعني فهمه، وفهم سبل التعامل معه لتغييره.

بعض البدهة تكفي لتجعل من قراءة الواقع عملا ثريا وفعالا. ومن تلك البدهة تأتي الانفصالات الشعبية،

في هذين المثالين معا، لم تكن هناك سلطة تحول "القضية" إلى سلعة تتاجر بالمقدس، أو بكلمات، أو أصنام. كان العمل اليومي، والتضحيات هما المعيار. ولم تكن القضية قضية "مكاتب" وثيرة، ولا إدارة أموال، ولا حتى خيارات أيديولوجية.

لا توجد استراتيجية وطنية فلسطينية، لأنه لا يوجد من يقرأ الواقع، ويبحث في معادلاته. أسوأ من ذلك، لأن الشعب الفلسطيني نفسه أجبر على أن يجلس في المقعد الخلفي. وبدلا من أن يكون هو صانع التغيير، صار قاده هم صانعو الهزيمة والفشل، لأنهم استغنوا عنه.

علي الصراف
كاتب عراقي

ماذا يملك ثنائي السلطة في رام الله وغزة، لكي يقدمه للناخبين الفلسطينيين؟ ماذا حصد الفلسطينيون من السلطة والأخرى، غير الفشل والإهترام والتناحر والفساد والقتال وضياح المشروع الوطني؟ الفلسطينيون يعرفون الواقع الذي يعيشون فيه. يعرفون أكثر خواء خيارات السلطتين، وعجزهما المشترك، وكل على انفراد، عن استقطاب الناس لأي عمل.

لقد فشلوا فحسب، ولكنهم يريدون المزيد.

هذا وحده كاف، للقول إن مشروعا وطنيا يمثله تيار جديد، هو وحده القادر على إخراج القضية الفلسطينية من المستنقع الذي وجدت نفسها فيه، مشروع لا يمسك بالقضية من تلايبب الشعارات، ولا الوعود الوهمية، ولا الحلول التي لا أفق عمليا لها.

حقيقية. إنها ذلك الشيء الذي يحتزل معادلات الواقع كلها في بضع كلمات، ويجولها إلى "مقدس"، وبينما تضي الحياة في طرقها المعتادة، فيتغير فيها ما يتغير مما يتطلب التمعن فيه، فإن صنم "المقدس" يظل ثابتا، حتى يصبح نوعا من موقف مفارق لا علاقة له بالحياة.

لقد تكبدت القضية الفلسطينية من هذه الشعاراتية ما لم تتكبد أي قضية إنسانية أخرى. والسبب، هو أن قادتها ظلوا عاجزين عن قراءة الواقع، وعن التعامل معه بحسب.

وقراءة الواقع لا تعني القبول به، هذا سوء فهم آخر. ولكنها تعني فهمه، وفهم سبل التعامل معه لتغييره.

بعض البدهة تكفي لتجعل من قراءة الواقع عملا ثريا وفعالا. ومن تلك البدهة تأتي الانفصالات الشعبية،

في هذين المثالين معا، لم تكن هناك سلطة تحول "القضية" إلى سلعة تتاجر بالمقدس، أو بكلمات، أو أصنام. كان العمل اليومي، والتضحيات هما المعيار. ولم تكن القضية قضية "مكاتب" وثيرة، ولا إدارة أموال، ولا حتى خيارات أيديولوجية.

اعتقالات السلطة في الضفة خروج عن المسار القويم

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالح الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العقبوي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

خوفه مع حاشيته، من مواجهة المجتمع في مناسبة انتخابية. وبالمنطق، يمكن القول إن جميع الذين أسسوا بمقالات سلطات الأمر الواقع في الضفة وغزة، قد خسروا الكثير، وأصبحت مواقف الراغبين في انتخابات يناير 2006، أضعف بكثير منها قبل أكثر من أربعة عشر عاما، فما بالنا بالخاسرين.

ولا ننفي في هذا السياق، احتمال أن تكون فكرة القائمة المشتركة، نابعة من حرص الخاسرين السابقين، على تأليب حماس في غزة على الفتاويين الذين يطالبون بالإصلاح، وهذا مطلب "إخواني" عباسي مشترك، مهما كانت التباينات، ولأسباب معلومة وموصولة بموقف القطريين والأتراك من تيار فتحواي يتلقى الدعم من دولة الإمارات.

وإن كانت التدابير التنظيمية العباسية، ستمنح الخاسرين في انتخابات 2006 فرص الترشح عن فتح من جديد، عبر قائمة مشتركة مع حماس، فمن ذا الذي سيمنح القائمة بنفسها فرص النجاح؛ إن الخوف على القوائم المفترضة، بنشأ من اسمائها. وقوائم التجديد للوجوه المجربة، تحتاج إلى دعم ولو من أصدادها. فالهم، كما في عمليات القسرة، هو الدعامات. لكن السؤال: من يستند إلى من في هذه اللجة إن انفجرت لواعج المجتمع وخرج أخباره وأبناؤه المشهود لهم، في الاختبارات الاجتماعية، بالكفاءة والنزاهة، وشكلوا عشرات القوائم؟

الجواب عن هذا السؤال، يبرر التشكيك أصلا في إمكانية إجراء انتخابات قريبة، كما يجدد الافتراض باحتمالات الخوض خلال سنة أو أكثر في صيغة للمحاصصة، بين حركتي فتح وحماس، بتدبير قطري تركي. إن منظار المؤرخ وقلمه، يختلفان عن قلم المناقش ومنظاره. الأول يقيس على أحوال الناس، وعلى صحة المجتمع، وقياس على عذابات الناس، وعلى قبح السلوك السلطوي، ويتفحص نبض الكيان السياسي، ويفتش عن المغاخر وليس عن القبانج، ولا تطربه الرزايا!

لا يزال عباس يحاول الهرب من الحقيقة وهي أن صخور الأرض قبل قلوب البشر في الضفة، ومن جملتها قلوب المنتسبين لحركة فتح، باتت في انتظار يوم الخلاص من مرحلته وحاشيته

ترصد، ويعانون من شلل النظام السياسي وتجويفه وتعليق مؤسساته، بالإضافة إلى كون عباس نفسه، هو الذي خلق مئات القضايا والموضوعات لكل المعنيين بمصير القضية الفلسطينية ومصير الحركة الوطنية، وهو الذي أعجز الناس عن إحصاء عدد الجوانب التي أخرجها واسكنها فسادا وانحرافات وفتن، على كل صعيد في الحياة، وفي كل جانب من العمل الوطني العام، وفي المجتمع نفسه.

لقد نظر الفلسطينيون بسخرية إلى فكرة دخول الانتخابات. في حال إجرائها - بقائمة واحدة مع حماس. ولم يجد الفلسطينيون تعليلا لهذه الفكرة، سوى إدراك عباس بأنه خاسر سواء كان معطوفا على حماس، أو كانت حماس معطوفة عليه. ذلك علما بأن حماس، على الأغلب، لن تذهب إلى هذه أو تلك بل إنها خفقت وصف ما جاء في بيان اجتماع إسطنبول إلى "تفاهات تجري دراستها" حسب التصريح الأخير لرئيس الحركة إسماعيل هنية.

الجانب الطريف من فرضية القائمة الواحدة، وهي لا تزال محض أمنية بالنسبة لعباس، هو كونها تعكس

تخوضها حركتا فتح وحماس بقائمة واحدة، بفتح المجال لردود أفعال من نوع الكوميديا، إذ إن الاعتقالات تعكس مشاعر التحسب والحساسية الشديدة لدى عباس، على اعتبار أن الشباب الذين جرى اعتقالهم، يحملون وجهات نظر قابلة لأن تسري داخل المجتمع الكالتار في الهشيم.

الناس يعرفون تاريخ وأخلاق ومستوى كل واحد من المناضلين المعتقلين، إذ في تجربة كل منهم، ما يكفي لتكريس جدارته قائدا طليعيا. ففي كل المواقع التي شغلها المعتقلون، لم يتطفل أي منهم على الدور الذي يؤديه، وإنما كان منتخبا وجديا بثقة الوطنيين. لذا كان مستهجا أن يصار إلى تناول أمر هؤلاء المعتقلين باعتبارهم بلا موضوع وبلا قضية وبلا عمق اجتماعي وبلا أنصار ورفاق.

أراء المعتقلين ليست نشازا وإنما هي آراء سائر المنضويين في الأطر التي يسيطر عليها عباس، تحت طائلة قطع الأرزاق. فهؤلاء وطنيون لهم عيون ترى وعقول

المزعم أو المفترض، الذي يناور عباس بشأته، لاكتساب الوقت والتهرب من الضغوط عليه لإنهاء الانقسام. فلا يختلف فلسطينيان اثنان على أن الاعتقالات، جاءت لخلط الأوراق وليست منفصلة عن مسار الخيارات الأخيرة لرئيس السلطة في الضفة، إذ هو الأمر بتنفيذها، استنصارا لخطر تفشي فكرة إصلاح النظام السياسي، مع تحسسه خطر التعاطف مع تيار فتحواي يؤيد هذه الوجهة.

لا يزال الرجل يخادع نفسه ويحاول الهرب من الحقيقة، وهي أن صخور الأرض قبل قلوب البشر في الضفة، ومن جملتها قلوب المنتسبين لحركة فتح، باتت في انتظار يوم الخلاص من مرحلة عباس وحاشيته. ولولا أن الرجل يرحل إلى سن التسعين، وأن ظروف الاحتلال في الضفة تقيد حركة الناس، لما أفلت في بقية عمره، من انتفاضة مخصصة له حصرا. فقد ظن الرجل أن الخطر الذي استنصره، يقتصر على الكادر الشجاع المتبرم مما آلت إليه أوضاع حركة "فتح" وال إليه الكيان السياسي الفلسطيني، وانتهت إليه السياقات التي اختارها هو نفسه في السياسات الداخلية والخارجية.

الحديث من الجانب الفتحواوي، عن انتخابات

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

في ظروف بالغة الصعوبة موضوعيا، أطلقت السلطة الفلسطينية حملة اعتقالات مفاجئة طالت عددا من الكوادر الوطنية المنتسبة إلى حركة فتح، بدعوى أن هذه الكوادر موالية لتيار الإصلاح الديموقراطي في فتح، الذي يتزعمه النائب محمد دحلان. وبدا واضحا أن هذا الاستهداف، الذي يتجاوز عن ملفات مهمة وتحديات تواجهها السلطة، ويتخذ قضية خلافية فلسطينية جديدة، يرتبط بمسارات المحور القطري "الإخواني" التركي، علما بأن تيار الإصلاح في حركة فتح، أعلن مبكرا عن تأييد جهود إنهاء الانقسام، في أي وقت ومن أي جهة جاء، وبصرف النظر عن الأطراف التي تساعد في التوصل إليه.

وكانت الانتباعات الأولى عن هذه الحملة، التي تتفاض عن شروط ومتطلبات تنقية المناخ الفلسطيني، أن سلطة محمود عباس، قد استجارت بجماعة "الإخوان" لإحياء تفاهات تيار الإصلاح في حركة فتح مع قيادة حماس في غزة، علما بأن تلك التفاهات قد ساعدت أهالي قطاع غزة على استعادة الأنفاس وتسوية قضايا الدم بالمصالحة المجتمعية، وتحقيق قاعدة للتفاهم بين حماس والحكومة المصرية، لكي لا تنخرط الأولى في المشكلة الأمنية التي تواجهها الحكومة المصرية في سيناء، فينعكس ذلك سلبا على قطاع غزة.

ورأي الفتحاويين أن رئيس السلطة وجد نفسه مندفعاً إلى محاولة الاستفادة من أجندة المحور القطري - التركي - الإخواني، لمحاصرة التيار الإصلاح الذي يمثل كتلة قوية في غزة، لكي لا يتسبب في مفاخرة مازق عباس في السباق الانتخابي

